
في ذكرى أربعينيته الخالدة
مقتطفات من السيرة الذاتية لفقيد الأمة
السيد العلامة المجدد المجتهد
مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي
رحمه الله تعالى رحمة الأبرار
إعداد المفتقر إلى الله تعالى
عبد الله بن حمود بن درهم العزي
مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية


﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ
أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾
[الأحزاب:٣٣]



ص.ب. ١٥١٣٤تلفون (٢٠٥٧٧٧- ٠٠٩٦٧١)
فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية
Website: www.izbacf.org ; email :info@izbacf.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين..

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه..

الحمد لله على ما أعطى، والحمد لله على ما أخذ، وله موصول الحمد في كل حال وعلى كل حال، والصلاة والسلام على رسوله البشير النذير، المبعوث هدى ورحمة للعالمين، سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد..

ففي عشية فاضت روحُكَ الطاهرة - يا أبا الحسنين - تحولت الأرض في صعدة كلها إلى جبال واجمة من البشر، تطؤها الفاجعة والصدمة...

وغداة شيّعت جثماناً طاهراً إلى روضة مثواك - رأينا هذه الجبال تتدفق من خلفك سيولاً ودموعاً..

إنها أمة جدكم - يا سيدي - جاءتكم من كل فج عميق، ولقد كانت بصدق ترغب في تقبيلكم..

نعم كانت هذه هي - وبمصداقية عالية - صورة ذلك المشهد الرباني في ذلك اليوم المشهود، يوم السابع من رمضان ساعة ودّعت الأمة عالمها الأوحد،

ومجتهدها المجدد الأمجد، مجد الدين بن محمد، سلام الله عليه ورحمته، فهو ـ بحق ـ يوم فرغ التاريخ من تسجيله ضمن أكثر الأيام ندرةً وخلوداً..

وبما أن ما أقوم به هنا هو مما قد يشبه الترجمة لدى البعض، فإنه يمكن القول: بأن مشهداً كالذي حدث في ذلك اليوم الرهيب والمهيب يصبح في الواقع هو الترجمة التي لا أبلغ منها ولا أعظم.

ودونما شك فإن ذلك اليوم قد اختزل في استثنائيته وفي عمق دلالاته وأبعاده أصدق الشواهد والأدلة على عظمة وفرادة شخصية أبي الحسنين، وسموها المعنوي، وبالشكل الذي أظهر على السطح دوره الكبير والفاعل في خدمة دينه وأمته، وأظهر في ما أظهر ـ أيضاً ـ أثر القيم العلمية والأخلاقية والعرفانية حينما تصل صادقة ومخلصة إلى قلوب الناس.

ولعل في جملة ذلك ما يبرز عمق معرفة وعرفانية أبي الحسنين، وعظيم عشقه وذوبانه في الحق سبحانه ـ ولا ريب في ذلك ـ فهذا الإمام علي عليه السلام يقول: «من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس».

إلا أنه ومع كل ذلك فإن حاجتنا تظل مستمرة للكتابة والقراءة عن مثل شيخنا الراحل ـ رحمه الله تعالى ـ وذلك بهدف إبراز تلك الخصال الكريمة التي

شــكلت شخــصيته، وصــنعت مكانتــه الروحيــة والعلميــة والعمليــة والخلقيــة الرفيعــة، والــتي طالمــا تعرضت للطمس المتعمد وغير المتعمد؛ عسى أن نتخذ من هـذه الخصال هـدفاً نـسير نحـوه، أو منهجـاً نعمـل على أساسه.

ذلـك أن منطـق الـدين والقـرآن في تركيـزه علـى شخـصية الربّـانيين لا ينطلـق مـن دوافـع شخـصية أو حزبية، وإنما هو تأكيد على أهمية الاقتداء والتأسـي بأهل اللّه من العلمـاء العـاملين، الـسالكين الواصـلين ممن كان عملهم ثمرة للعبودية الخالصة.

ومـن وحـي هـذا المنطـق - وبمـرور أربعـين يومـاً علـى وفاة شيخنا رحمه اللّه تعالى - أجـدها فرصـة ومناسـبة للتـشرف بالحـديث عـن شــيء ممـا كــان عليــه في حياته، مُظهراً كمال العجـز عـن تقديمـه كمـا هـو - ومن أيـن لمثلـي ذلـك وأنـا العبـد الفقـير المكلـوم، وهـو كما قيل عنه: (هو البحر من أي الجهات أتيته).

ومدركاً في ذات الوقت بأن الكتابة عـن العظمـاء لا تضيف إليهم في العادة شيئاً جديداً، وإنما نحن مـن سيضاف إلينا من نفحاتهم المباركة وخصالهم النبيلـة الشيء الكثير.

ودونما شك فإنه بقدر ما نستفيد ويستفيد النـاس مـن خـصالهم بقـدر مــا تكــون المــبرة بهــم، وهــذه المــبرة

لشيخنا هي بغيتنا ومرادنا ودافعنا في كل ما نكتب عنه.

من هنا جاءت هذه السطور المتواضعة كمحاولة للنفاذ إلى رحاب هذه الشخصية المباركة، والتي سنتناول بعض جوانبها من خلال العناوين التالية:

اسمه ونسبه

هو حجة العصر، ودرة الدهر، البدر الأتم، والبحر الخضم، العلامة المجدد المجتهد، مجد الدين بن محمد بن منصور بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن الحسن بن يحيى بن عبد الله بن علي بن صلاح بن علي بن الحسين بن الإمام المؤتمن الهادي إلى الحق أبي الحسن عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن فقيه آل محمد المؤيد بن ترجمان الدين أحمد (الملقب المهدي) بن الأمير شمس الدين الداعي إلى الله يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن المعتضد بالله عبد الله بن الإمام المنتصر لدين الله محمد بن الإمام القاسم المختار بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

مولده ونشأته

قبل أن يهلّ قرنُ ميلاده الميمون بنحو ثلاثة عقود كان جدُّه لأمه العلامة المجتهد محمد بن القاسم - الإمام المهدي فيما بعد - يقود جيوش الإمام المحسن بن أحمد في جهاده ضد الغزاة الأتراك، وهناك وعلى ضواحي صنعاء ومشارفها كان هذا الجد العظيم - ومعه رجال الله من اليمنيين الأمجاد - يخوض الأهوال في ميادين الجهاد والنضال، وفي سوح الكرامة والفداء، ليفتح صنعاء ويدخلها مكبراً تحت لعلعة البارود وأهازيج النصر سنة (١٢٧٢هـ)[1].

فيمكث بها مدة نائباً للإمام، وسيفاً لخلافته، ثم يعبر الزمن، وتتغير خطط العدو الغازى، وتتعاظم إمكاناته العسكرية والحربية، وإذا به عبر سلسلة من المعارك الدامية والهجمات العنيفة يستعيد سيطرته الهمجية على معظم أنحاء الوطن الغالي، ممعناً - أكثر من ذي قبل - في إذاقة أبناء الأرض شتى صنوف القهر والظلم والعذاب، ومع أن المقاومة اليمنية كانت تزداد تلظياً إلا أنها هذه المرة كانت على موعد مع تلقي أقسى ضربات العدو.

كان ذلك في العام (١٢٩٤هـ) حين نجح المشير العثماني مصطفى عاصم - وبطريقة استخباراتية وعسكرية ماكرة - في اصطياد مجموعة من رموز

(١) الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور: ٣٢/١.

وعلمـــاء المقاومـــة وإيقـــاعهم في شـــباك الأســـر، وبالتأكيد فقد كان على رأسهم جدُّ شيخنا ، وإلى جانبه العلامة المجتهد ، محمد بن يحيى حميد الدين ـ الإمام المنصور ووالد الإمام يحيى بطل التحرير فيما بعد ـ ومعهما آخرين من أعلام اليمن.

وبعد سنتين وأشهر من السجن والتعذيب في سبيل الله والوطن وتحت ضغط الكفاح واستياء الشعب، يخرج هؤلاء الرجال من سجن الحديدة بأمر سلطاني إبان عهد الوالي العثماني اسماعيل حافظ باشا ، فيـــصل هـــذا الجـــد العظـــيم إلى جبـــال بـــرط سنة(١٢٩٨هـ).

ومن تلك الجبال الشامخة حيث نسمات الحرية تلهب حماس الرجال، وجّه دعوته المباركة في ذات العام إلى كل أبناء اليمن، تجديداً للجهاد ، وإيذاناً بمواصلة النضال، وحينها ضُربت إليه أكباد الإبل، وشُدّت إليه الرحال من كل صوب، حتى غص مقامه الشريف بالوفود المهاجرة من العلماء والأعيان وطلاب العلم الشريف، ومن سائر المتطوعين والمستضعفين والمستفتين.

وتشاء الأقدار الإلهية أن يكون من بين تلك الجموع والوفود ـ والد مجد الدين ـ محمد بن منصور المؤيدي، ذلك الشاب التقي الذكي الملهم، الذي ما

إن حطت به الركاب في مقام الإمام المهدي حتى أقبل عليه يطلب غزير علمه بنهم شديد، وبهمة عالية، وبإخلاص قل نظيره.

وبدوره كان الإمام يفيض عليه مما وهبه الله من غزير العلم والمعرفة؛ حتى أحرز درجة الاجتهاد، وشع نوره بأجمل الصفات، فكان كما قال عنه العلامة الحسن الفيشي ـ حفظه الله ـ : «لا يجارى في فضل، ولا يسامى في نبل، ولا تأخذه في الله لومة لائم»[1].

وقد لازم والد شيخنا ـ رحمه الله ـ الإمام المهدي لدين الله قرابة العشرين عاماً تلميذاً له ووزيراً، فكان كما قال العلامة إسماعيل المختفي ـ رحمه الله تعالى: «أحد العيون الناظرة للإمام، القائمين بشرائع الإسلام، فهو معروف بالعلم والورع والزهد»[2] ولذا قرّبه هذا الإمام المجاهد أكثر وأكثر، حتى شاء الله سبحانه وتعالى أن يُتَوّج هذا القرب بزواج هذا العلامة العابد (محمد بن منصور المؤيدي) من الشريفة الزكية الطاهرة أمة الله بنت الإمام المهدي، والتي كانت هي الأخرى على درجة رفيعة من التقوى والعلم والأدب وكريم الخلق.

وكان لهذا الزواج قصة عجيبة تعكس في

(١) التحف: ٤٦١.
(٢) مجمع الفوائد: ٩.

مضمونها أرقى وأصفى قيم المكارم والأخلاق في هذا البيت الكريم، وهذه القصة أثبتها حفيد الإمام المهدي - العلامة الولي القاسم بن أحمد بن المهدي - حفظه الله تعالى - عند ترجمته لجده الإمام رضوان الله عليه[1].

ومن هذين الأبوين الصالحين قدم إلى عالم الوجود نعم المولود شيخنا، وعلامة عصرنا وزماننا، المجدد المجتهد، مجد الدين بن محمد - رحمه الله تعالى - وكان ذلك بقرية الرضمة من جبل برط، يوم السبت لست وعشرين من شهر شعبان الوسيم سنة (١٣٣٢هـ).

وفي أحضان هذه الأسرة الكريمة المشغوفة بحب العلم ومعالي الأمور نشأ وترعرع شيخنا الحجة رحمه الله تعالى.

---

(١) هذا ما ذكره في الورد الزهري في ذكر من ينتسب إلى الإمام المهدي: ٥٢.

من ملامح وتجليات شخصيته المباركة

لقد كان لأجواء نشأته المباركة الأثر البالغ في تكوين شخصيته بالشكل الذي عرفه الناس عليه فيما بعد، فهو - رحمه الله - ما إن أدرك وميّز، حتى وجد نفسه بين أهل كرام يراهم آناء الليل بين راكع وساجد، ويشاهدهم أطراف النهار ينشرون النور، ويعلمون الناس، ويدافعون عن الأوطان، في أجواء كلها علم ومعرفة وروحانية وجهاد.

ومن هنا تشكّلت دوافعه القوية وميوله المبكرة نحو طلب العلم وتحصيله، ليتحدد على إثر ذلك طبيعة هذه الشخصية المنتظرة علمياً ومعرفياً وعرفانياً، ونتناول الآن بعض تجلياتها..

همة عالية وعقل مفتوح

ففي مرحلة الطلب، بكّر إلى منابع العلم والنور؛ ليعلن من اليوم الأول أنه لن يفارقها ما امتد به عمر، وفي عزم وتصميم ما فتئ - رحمه الله تعالى - كذلك يتنقل بين حلقات الدرس، ويتقلّب في مجالس الذكر، ومحاريب العبادة.

وطيلة عشرين عاماً ونيف، كان شيخنا الراحل يكرع العلوم من معين والده العذب، وقد أشار شيخنا - رحمه الله تعالى - في كتابه (لوامع الأنوار) إلى عشرات المصادر المعرفية من أمهات الكتب وغيرها، كنموذج - فقط - لبعض ما أخذه عن والده من مساقات منهجه العلمي[1].

وقد كان من بين تلك المساقات ما اشتمل على كتب ومصادر لمذاهب أخرى، وفي ذلك ما يدلنا على الكثير من سمات العقل المفتوح على معرفة ما لدى الآخر، وهي سمات يكون معها الشخص أبعد ما يكون عن التعصب أو الانغلاق والجمود، وأكثر التصاقاً بكل معاني التجرد والإخلاص والثقة في أحقية منهجه ومعتقده، ذلك أن الاطلاع على ما لدى الآخر في ذات المسألة يعتبر أحد المختبرات الكاشفة عن قوة أو ضعف ما لديك من المفاهيم والأفكار، ومن شواهد تلك السمات وهذه المعاني أنه - رحمه الله تعالى - كان يقسم بأنه لو وجد الحق في جانب أقصى الخلق من عربي أو عجمي أو قرشي أو حبشي لقبله منه وتقبله عنه ولما أنف من اتباعه، ولكان من أعوانه عليه وأتباعه[2].

---

(١) لوامع الأنوار: ١/٣٥٨- ٣٦٠.

(٢) سوف نورد هذا القسم كما هو فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

نعم.. بهذه العقلية المترسخة في الذاتية الزيدية أصلاً تتلمذ شيخنا على والده وعلى كبار العلماء في عصره، أمثال: الإمام محمد بن إبراهيم حوريه، والسيد العلامة الحافظ الحسن بن الحسين الحوثي، والعلامة الحافظ شيبة الحمد السيد عبد الله بن الحسن بن يحيى القاسمي، وغيرهم رحمهم الله تعالى جميعاً.

كل ذلك بهمة عالية ما عرفت الوهن، وما انثنت لصعب أو مستحيل، قال العلامة الفيشي: «صحبته فكان لا يفتح عينيه صباحاً إلاّ إلى كتاب، ولا يغمضها بعد هوي من الليل إلا عن كتاب، وكأن العلم من مقومات حياته ومن مغذيات مشاعره وطاقاته»[1].

ولعل من أهم مصاديق هذه الهمة العالية قصة ذلك الكتاب الجميل الموسوم بـ(عيون المختار من فنون الأشعار والآثار) والذي عاد به من رحلته العلاجية إلى لندن.

لقد كان سفره - رحمه الله تعالى - إلى لندن لغاية محددة، هي العلاج، ولكنه لما زار مكتبة المتحف البريطاني ووقعت عيناه على جملة من تراث آل محمد لم يكن لمثل همته العالية أن تسمح له بالانصراف

(١) عيون المختار من فنون الأشعار والآثار: ١٦.

بعد يوم جميل مثلاً، أو أن يتعامل مع نفسه كمريض، وإنما ـ وهو تحت وطأة المرض ـ دفعته هذه الهمة إلى التنقل بين الرفوف واستدعاء تلك الكتب، وتحرير تلك النقولات المختارة؛ ليعود لنا بهذا الكتاب كأصدق دليل على أن علو الهمّة، وروحية العمل والإنتاج فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده الصالحين.

ويكفي أن هذه الهمة العالية، وهذا العقل المفتوح إلى جانب بقية الصفات الكريمة ـ والتي سنأتي على بعضها ـ قد جعلت الزمان يتبسم شيئاً فشيئاً عن شخصية فذّة ما زالت تتبلور فيها كل معاني الرفعة والسمو، حتى فاقت الأقران، ونالت أعلى رتب الفضل والاجتهاد، وحتى برزت على السطح كأعلى قامة علمية في اليمن والجزيرة، وكأكبر مرجعية زيدية في العالم.

ذكاء وقّاد وبصيرة نافذة

منذ أيام الصبا كان شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ يتمتع بعقلية فذّة، وكانت الموهبة والذكاء سمة أساسية من سمات شخصيته المباركة، لقد كان يدهش مشائخه وزملاءه بدقة ملاحظته وقوة استنباطه واستنتاجه، فهو يدرك أن الاستفادة القصوى لا يمكن أن تتحقق لأحد، ما لم يكن

العقل في حالة انتباه وعمل دائمين؛ ولهذا كانت مداخلاته الجميلة وتساؤلاته المنطقية تصبغ الأجواء في حلقات العلم والدرس، وتمدها بأسباب النشاط والفاعلية، فتفتح أمام الشيخ والطالب ـ على حد سواء ـ أفق البحث العلمي والاستفادة القصوى.

قال العلامة المرحوم إسماعيل بن أحمد المختفي: «لم أجد ـ منذ عرفت ـ من أبناء دهري صاحب ذوق سليم كسيدي العلامة مجد الدين، فهو تصدر وصار صدراً في إبان شبابه بذوقه السليم، وفهمه الوقّاد، ونظره الثاقب»[1].

ولعل من المصاديق المبكرة ـ أيضاً ـ لهذه الموهبة، تلك التعليقات القيمة والأجوبة المهمة التي كتبها شيخنا ـ رحمه الله ـ أيام كان طالباً يتلقى العلم على يد والده عام (١٣٥٨هـ) والتي باتت اليوم تزيّن هوامش كتاب (الشافي) للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام.

أما حينما يسعفك الحظ فتقرأ ما تركه من المؤلفات القيمة، وتقف على كل ما فيها من جمال المحاورة، وقوة الحجة، وأدب المحاججة، وجودة الاستدلال، فإنك بالفعل سوف تشعر بعظمة هذه الموهبة، وبعظمة تجلياتها ـ أيضاً ـ عندما تعمل في إقامة الحق وإزهاق الباطل.

---

(١) مجمع الفوائد: ٤.

نعم .. لقد أطعمه ذكاؤه الوقّاد لذّة الحق ولذة اكتشافه، فتحوّل ذلك إلى بصيرة نافذة كانت توجهه وترشده إلى حقيقة الدور المطلوب لخدمة دينه وأمته عند كل نازلة أو حدث، حتى خاطبه العلامة الكبير علي بن محمد العجري - رحمه الله - بـ «شمس مشكلات المسائل، ومفتاح معضلات النوازل»[1].

كما قادته هذه البصيرة النافذة، وهذا الذكاء الوقاد إلى بناء قناعاته وفق أسس متينة من أهمها منهجية البحث والتنقيب عن كل ما يمثّل قناعته وضالته المنشودة؛ فبدا غزير المعرفة واسع الإطلاع، حتى قيل في وصفه: «هو البحر من أي الجهات أتيته».

عمل دؤوب وعطاء بلا حدود

قال الإمام الحسن عليه السلام: «يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة كلما ذهب يوم ذهب بعضك». ومن هنا أدرك شيخنا - رحمه الله تعالى - معنى أن يكون الإنسان محدود العمر، ومعنى أن الوقت الذي يذهب هو بطبيعته لا يعود، ولهذا لم يكن لمثل شيخنا الراحل أن يسمح ليومه بالمرور دون أن يكون قد صنع منه يوم إنجاز وعمل.

ولعل فيما تقدم وفيما سيأتي شواهد حق وعدل

---

(١) مجمع الفوائد: ٤.

على ذلك، لقد كان - بحق - مثالاً للإنسان العملي، وبفضل هذه الصفة آلت إليه علوم الآل ابتداءً، وبفضل عمليته اندفع إلى جمعها بعد شتاتها، والعمل على إظهار وتبليغ ما اشتملت عليه من حق وهدى.

قال عنه العلامة المحدث، محمد بن الحسن العجري - حفظه الله - هو: «الجامع لما تشتت من علوم الآل، والمعلن الحق في الغدو والآصال»[1].

لقد تحولت حياته كلها إلى عمل دؤوب وعطاء لا يعرف الحدود، انشغل - رحمه الله - في حله وترحاله بالعلم والتعليم، والعمل على نشر القيم الإسلامية الصحيحة، وإشاعة ثقافة الإخاء والتسامح وروحية التعايش بين الناس.

وكان من مظاهر عطائه أن تخرّج على يديه علماء جهابذة، حتى أنك لا تكاد ترى اليوم عالماً من العلماء ليس من تلاميذه أو ليس ممن أخذ عنه، وذلك في كل مكان أقام فيه كصعدة، وصنعاء، ونجران، والطائف، وبرط وغيرها، وفي كل مكان هاجر منه أو إليه تلميذ من تلامذته، كالجوف، وحجة، وذمار، وعمران، وغيرها.

وقد أشار العديد ممن ترجم له من العلماء إلى

---

(١) مجمع الفوائد: ٥.

أسماء بعض الآخذين عنه[1]، كما قادته صفاته العلمية والعملية وملكاته القدسية من الإيمان والإخلاص إلى المبالغة في استغلال كل الإمكانات المتاحة وتسخيرها في سبيل نشر العلم والمعرفة بين الناس، فأحيا هجر العلم، وأقام المراكز الثقافية والعلمية، وبعث المرشدين من العلماء وطلبة العلم الشريف إلى شتى المناطق، يعلمون الناس أمور دينهم، ويصححون أخطاءهم؛ بما يسهم في صلاح دينهم ودنياهم، وبما يعزز أمنهم ويصون استقرارهم.

وفي إحدى روائعه الشعرية يقول السيد العلامة المحقق، عبد الرحمن حسين شايم ـ حفظه الله تعالى ـ ممتدحاً شيئاً من عطاء راحلنا العظيم:

قف بالمطايا لحظة يا حادي
أمسك عن التغريد والإنشاد
فلقد أنارت للعقيق معالم
وبدت أثيلات بذاك الوادي
هذا العقيق وهذه أثلاته
خيم بها واقصد إمام النادي
وامش الهوينا في حياء خاضعاً
في سوح فخر حواضر وبوادي

(١) انظر التحف: ٤٦٤- ٤٦٦.

في سوح مجد الدين أكرم عالم
ورث الكتاب بحكمة وسداد
وهدى العباد إلى طريق رشادهم
وسعى إلى الإصلاح والإرشاد[1]

قال العلامة الفيشي: «نعم وكم له من مساع محمودة، ومقامات مشهورة، ومصالح مسطورة، وشفاعات مقبولة، وخلاصة الأمر أنه لا يزال بين العلم والعمل، والدرس والتدريس، والذكر والفكر، ومقامه الشريف يغص بمن فيه من عالم مستزيد، وطالب مستفيد وزائر متبرك، ومستنجد من دهره العنود»[2].

ومن مظاهر عطائه إلى جانب النهضة العلمية والإصلاحية التي أحدثها، تلك الثروة العظيمة والبالغة الأهمية، المتمثلة فيما تركه لنا من مؤلفاته الغنية بالفائدة، والتي ربما تجاوزت في مجموعها الخمسين مؤلفاً[3] ما بين مجلد ورسالة، ومنها: (لوامع الأنوار) الذي يعتبر موسوعة هامة في علوم آل محمد، و (مجمع الفوائد) الذي تضمن رسائل عديدة وآراء فريدة فكان بحق ضالة الرائد وبغية الناشد، و (التحف شرح الزلف) الذي يعد من أصح ما كتب في

(١) ديوان الحكمة والإيمان: ٣.
(٢) التحف: ٤٧٥.
(٣) الزهر الوردي في ذكر نسب وتشجير ذرية الإمام المهدي: ٥٣.

تاريخ أهل البيت، و (الجامعة المهمة لأسانيد كتب الأئمة) جمع فيها أسانيده، وبيّن طرق الوصول المعتبرة إلى علوم العترة، و (الجوابات المهمة) التي أجاب بها على كثير من الشبه، و (عيون الفنون) تطرق فيها إلى بعض تصاريف اللغة، و (عيون المختار من فنون الأشعار والآثار) جمع فيه مختارات من أشعار الأئمة وبعض الآثار والأخبار مما وجده في تراثهم الموجود بالمتحف البريطاني، وغيرها الكثير الطيب[1].

ولا شك أن في جميع ما تركه من هذه الثروة العلمية ومن ذكريات وسيرة حياة ما يشكّل حافزاً قوياً للإقبال على دراستها بعناية، فهي جديرة بذلك.

وسطية واعتدال

إن منهج الوسطية والإعتدال هو منهج الإسلام في مفاهيمه الصحيحة وفي رؤيته الشاملة للدين والدنيا والآخرة ونحو الحياة بكامل دورتها وبجميع مشتملاتها وتعلقاتها، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ولقد كان شيخنا ـ رحمه الله ـ ينطلق في منهجه العلمي والعملي من عمق هذا المنهج القرآني، وهو منهج يكون الإنسان معه ـ كما هو معروف ـ أبعد ما

(١) لمعرفة أسمائها انظر: أعلام المؤلفين الزيدية ـ حرف الميم.

يكون عن مفاهيم الغلو والتطرف أو الفوضى والانفلات، وبعيداً كل البعد عن كل عوائق الهداية من قبيل التقليد الأعمى، أو التعصب المقيت، أو تعطيل العقل، ومع المنهج الوسطي يصبح الإنسان أكثر اتصالاً بما هو حق، وبما هو عدل وإنصاف، وتتجلى في سلوكه وطرائق تفكيره كلُّ معاني التقوى والصدق، والواقعية والموضوعية، والتسامح والإنصاف، والقدرة على الهداية بالحكمة والموعظة الحسنة، والتمكن من استعمال ما وهبه الله تعالى من عقل وسمع، وبصر وبصيرة.

وكذلك كان شيخنا - رحمه الله - لقد كان يتحرك في جميع أقواله وأعماله تحت مبدأ وشعار (لا إفراط ولا تفريط) بل ولطالما تمثل في أحاديثه وكتاباته بقول الشاعر:

عليك بأوساط الأمور فإنها
سبيل إلى نيل المراد قويم
ولا تكن إما مفرطاً أو مفرّطاً
كلا طرفي قصد الأمور ذميم[1]

ومن يطلع على مؤلفاته القيمة، فإنه سيلمس تجليات هذا المنهج بكل وضوح، ومنها مثالاً لا حصراً:

---

(١) لوامع الأنوار: ٥٨.

١- التوجه الدائم إلى اختيار وتقديم الأصح والأرجح والأنفع للناس، قال - رحمه الله - في ديباجة كتابه (لوامع الأنوار): «وسيكون إن شاء الله تعالى - يعني الكتاب - جامعاً نافعاً، شاملاً للباب ما حفلت به الأبواب، مع المبالغة عند الانتهاء إلى الطرقات، في انتقاء أصحها وأرجحها وأجمعها وأنفعها.. إلى أن قال: سالكاً في جميع ذلك - إن شاء الله تعالى - للنمط الوسيط المجانب لجانبي الإفراط والتفريط، وهو المسلك القويم»[1] ثم تمثّل بالأبيات السابقة.

٢- إرشاد الناس وتوعيتهم وتشجيعهم على ابتغاء الحق واتباعه، من خلال اعتماد المنهج الوسطي، فهو يصفه بالمسلك القويم، والسبيل الوحيد للنجاة، بل لا يتوانى - ولو للحظة - عن تعريف الناس بمضامينه وقيمه، قال - رحمه الله تعالى - : «وسبيل طالب النجاة، المتحري لتقديم مراد الله وإيثار رضاه، الإعتماد على حجج الله، وتحكيم كتاب ربه تعالى، وسنة نبيه ﷺ، واطراح الهوى والتقليد، اللذين ذمهما الله في الكتاب المجيد، وتوخي محجة الإنصاف، وتجنب سبل الغي

---

(١) اللوامع: ٥٨/١.

والاعتساف»[1].

٣- التيسير في الفتوى بما يبرز سعة الشريعة السمحاء، وجمال مقاصدها، ومن يقرأ كتابه (مجمع الفوائد) يلمس ذلك، ويجد هنالك التزاماً واعياً بقول رسول الله ﷺ: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا».

٤- اعتماد مبدأ الحوار مع المخالف؛ بهدف الإصلاح والتقويم، وبدافع التحرق على الحق وأهله، وهو ما قاله العلامة محمد رضا الجلالي - حفظه الله تعالى - حيث قال في ترجمته لشيخنا الراحل: «ومما يجد من التحريف عند المعاندين، والانحراف عن سنن الدين، وإلى هدف الإصلاح الذي يتابع به خطواته وحركاته عندما يحاور المخالفين ويحاول إرشاد قارئيه»[2].

٥- وحتى فيما يتعلق بتلك المفاهيم والأفكار، التي عادة ما تثير لغطاً وجدلاً بين علماء الدين - ربما لتعلقها بنظرية الحكم في الإسلام كالإمامة مثلاً، أو لتعلقها بالمفاهيم الحديثة لوسائل الحكم كالتعددية الحزبية .. الخ - نجد أن شيخنا، وبما جبل عليه من الفهم العميق لمقاصد

---

(١) اللوامع: ١/٦٤.
(٢) اللوامع: ٣٥.

الإسلام يكشف ديجورها ويقطع شجونها، فهو فيما يتعلق بمفهوم الإمامة يبين للناس ما معناه: أن الغاية من قيام الدولة في الإسلام هو إقامة العدل وتطبيق أحكام الله في هذه الحياة، وبالتالي فإن من يحقق هذه الغاية سواء كان من أهل البيت أو من غيرهم يجب أن يعامل بأحسن المعاملة، وهذا ما يمكن فهمه من كلام شيخنا الراحل في قوله ـ رحمه الله تعالى ـ «ومع هذا فأهل البيت يعاملون من تولى من غيرهم وسار بالعدل وأقام أحكام الشريعة أحسن المعاملة كعمر بن عبد العزيز، وإنما يجاهدون من جار وظلم المسلمين، هذه سيرتهم من عهد أمير المؤمنين عليه السلام، فمسألة المنصب عندهم استدلالية وليست من ضروريات الدين، وأما الشورى فالمقصود بها مشاورة أهل الحل والعقد فيما لم يكن حكمه متقرراً في الكتاب والسنة، أما ما كان كذلك فلا شورى فيه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب:٣٦]»[1].

وفيما يتعلق بالعمل الحزبي فإنه وفي الوقت الذي

---

(١) التحف: ٤٥٤.

تنتشر فيه كتب المتطرفين المملوءة بتكفير وتفسيق هذا النوع من الأعمال، نجد أن شيخنا الراحل يقدم الفهم الإسلامي الصحيح، فهو يدرج الأحزاب ضمن مفهوم الوسائل وليس ضمن الغايات كما فهمها أولئك، وهذه الوسائل يتحدد الموقف الشرعي منها بحسب موقف الشرع من الغاية التي وجدت من أجلها أو التي سيتم توظيف الحزب من أجلها، وعندما تكون الغاية القصوى للإنسان المسلم هي النزول عند حكم الله والوقوف عند مقتضى أمره، فلا حرج عندئذ إذا ما كان التكتل أو العمل الحزبي إحدى وسائله المؤدية إلى ذلك، ولهذا فقد تولى ـ رحمه الله ـ رئاسة أحد الأحزاب الإسلامية العاملة في الساحة، وهو حزبه المعروف بـ(حزب الحق)، وفي مختلف الأحوال فهو لم يكن له غرض سوى الله، كيف لا وهو من أقسم قائلاً: «قسماً بالله العلي الكبير، قسماً يعلم صدقه العليم الخبير، أن لا غرض لنا ولا هوى غير النزول عند حكم الله، والوقوف على مقتضى أمره..»[1].

هذا وشواهد وسطيته واعتداله تفوق عن الحصر، ولعل مرد ذلك إلى الآتي:

أ. الفهم العميق لدى شيخنا لدينه، وانعكاس هذا الفهم إيجابياً على طريقة تفكيره ـ ولا ريب ـ فهو

---

(١) سيأتي لاحقاً.

كما قال العلامة الجلالي: «عملاق من عمالقة الفكر الإنساني، وبطل من أبطال المعرفة الإسلامية، وإمام في التحقيق، وجامع للمنقول، و متضلع في المعقول»[1].

ب. طبيعة الفكر الزيدي ذاته الذي يفرض مبدأ الاجتهاد بقوة، هذا المبدأ الذي يعتبر الحاضن الأم ـ كما هو معروف ـ لكل عوامل التجديد والنماء، وربما لهذا السبب كان الفكر الزيدي وما زال يدهش بقيمه العقلية والنقلية وبقابليته للتطور والنماء الكثير من المفكرين الإسلاميين والحداثيين على حد سواء[2].

ج. طبيعة الثقافة الزيدية ـ المعتدلة والمتسامحة ـ التي بوأتها المكانة الوسط بالفعل حتى أنه وجد من يسميها بـ(سنة الشيعة وشيعة السنة).

حضور مؤثر وجاذبية لا تقاوم

لقد كان رحمه الله تعالى مؤثراً بكل ما في هذه الكلمة من معنى، كل ما فيه بحق كان يشدك إلى إجلاله واحترامه، وحتى لو لم تكن عرفته من ذي قبل، فإنك ـ ومن اللقاء الأول ـ تشعر بجاذبية ما نحو

---

(١) اللوامع: ١/٣٥.

(٢) وللمؤرخ الدكتور محمد أبو زهرة كلام جميل حول فكر أهل البيت عليهم السلام، ضمنه كتابه (الإمام زيد حياته وعصره).

هذا الرجل.

وصفه العلامة المرحوم - علي بن محمد العجري - بـ«مغناطيس أصحاب الشريعة النبوية»[1] ووصفه نبراس المحققين العلامة أمير الدين بن الحسين الحوثي بـ«نقطة بيكار بني الحسن»[2].

ووصفه العلامة المحدث محمد بن الحسن العجري - حفظه الله تعالى - بـ«كعبة المسترشدين»[3].

نعم .. تأسرك ابتسامته، وتبكيك موعظته، وتشحذ فيك الهمة والعزيمة - إلى أقصى الدرجات - توجيهاته وتشجيعاته، وهذا شيء لمسته بنفسي، ومررت به شخصياً، بل إن شواهد ذلك أعني الجاذبية والتأثير، أو الكاريزما - كما يقال - تتوافر في شخصية شيخنا الراحل إلى الحد الذي يمكن أن تفيض به الدفاتر، ومع ذلك فسوف أقتصر على ثلاثة مواقف، أذكرها هنا على سبيل المثال لا الحصر:

الموقف الأول

كان ذلك في العام (١٣٦٣هـ) - أي قبل نحو خمسة وستين عاماً.

لقد كانت ما يسمى بمدرسة صعدة آنذاك تعج

---

(١) مجمع الفوائد: ٤.
(٢) لوامع الأنوار: ١/٣٧.
(٣) مجمع الفوائد: ٥.

بالعلماء وطلاب العلم الشريف، وكانت هذه المدرسة تتألف من عدة شعب، كل شعبة منها تحتوي على مجموعة من الطلاب، وفي ذات يوم قررت إحدى هذه الشعب ـ وبالإجماع ـ أن تستأذن مدير المدرسة القاضي العلامة عبد الواسع بن أحمد الواسعي؛ كي تلتحق بمعلم آخر ذي شخصية آسرة وبالغة التأثير، ولنبقى الآن مع كلام أحد طلاب هذه الشعبة، وهو العلامة المرحوم إسماعيل بن أحمد المختفي، قال ـ رحمه الله تعالى ـ : «نعم من ذلك أنّا كنا بمدرسة صعدة المحمية في شعبة من (١٧) شخصاً، فلما رأينا سيدي مجد الدين كان يطلع الجامع المقدس بصعدة جامع الإمام الهادي، اجتمع رأي شعبتنا لما رأينا خلق مجد الدين وأنظاره وجواباته وتفهيماته، وتفكيكه لعويص المشكلات، اجتمعنا وتعاهدنا أنه لا بد من جمع دروسنا عند هذا الشاب البارع المتفنن الذكي، وتعاهدنا على ذلك، وحررنا شيكة (يعني مذكرة) لمدير المدرسة القاضي العلامة عبد الواسع بن أحمد الواسعي ـ حفظه الله[١] ـ بإجماعنا أن هذا شيخنا، فرتّب دروسنا من سنة (١٣٦٣هـ)»[٢].

---

(١) كان حرر هذه الكلمات في حياة القاضي الواسعي ـ رحمهما الله تعالى ـ.
(٢) مجمع الفوائد.

الموقف الثاني

كان في شهر ربيع الأول من العام (١٤١٦هـ) حينما قرر شيخنا الراحل الذهاب إلى برط لزيارة مشهد جده لأمه، الإمام المهدي لدين الله من جهة؛ ولإطفاء نائرة الفتنة بين المتقاتلين من قبائل (ذو محمد) من جهة أخرى، وكان قد اصطحب في تلك الرحلة جملة من المحبين والمريدين، وكان على رأس هؤلاء بعض تلامذته البررة، أمثال السيد العلامة عبد الرحمن بن حسين شايم، والسيد العلامة الحسين بن يحيى الحوثي - حفظهما الله - والسيد العلامة إبراهيم بن علي الشهاري - رحمه الله - وفي تقرير أعدّه شعراً ونثراً تلميذه البار المجتهد العلامة عبد الرحمن بن حسين شايم عن هذه الرحلة يمكننا أن نلمس بعض تجليات الكاريزما وقوة الجذب والتأثير في شخصية الراحل العظيم، فقد كانت الحرب على أشدها بين القبائل المتقاتلة في برط، ولكنهم لما علموا بقدوم شيخنا الراحل خرج في استقباله أكثر أهل مدينة العنان وهم كما يصفهم ذلك التقرير «مستبشرين بزيارته، فرحين بوفادته ووساطته»[١].

ثم يقول التقرير: «واتصل به النقيب ابن ثوابه - يعني عبد الله بن محسن ثوابه[٢] - فتمهدت أمور

---

(١) ديوان الحكمة والإيمان: ١١١.

(٢) انظر هامش كتاب ديوان الحكمة: ١١١.

وطابت خواطر الجمهور، وأنزلوا المقاتلة من مراتبها، وارتفعت الجنود من مضاربها، وأمنت نفوس، وارتفع البؤس، وبعدها وافق النقيب أبو راس ـ يعني النقيب ناجي بن محمد أبو راس[1] ـ على خطة محكمة الأمراس، بتحكيم السنة والكتاب، ورجوع المعتدين إلى الهدى والصواب»[2].

هذا وللعلامة شايم بعد تقريره هذا رائعة من روائعه الشعرية المعروفة يصف بها نجاح الراحل العظيم في تحقيق الأهداف التي رسمها لتلك الرحلة.

الموقف الثالث

ولعله من أطرف المواقف وأكثرها إظهاراً لأسرار حضور هذه الشخصية العرفانية الجذّابة وقوة تأثيرها، وهو موقف أشار إليه العلامة القانت، القاسم بن أحمد المهدي ـ حفظه الله تعالى ـ في كتابه الشيق (طرائف المشتاقين)[3] وتتلخص أحداثه في رحلة إرشادية ودعوية قام بها شيخنا الراحل إلى بعض القرى والبوادي غرب مدينة صعدة انتهت بوصوله إلى ظفير حجة لزيارة مشهد الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، الذي ملأت مؤلفاته الآفاق، وقبل ذلك كان قد التقى ـ رحمه الله ـ تحت جبل الظفير

---

(١) المصدر السابق: ١١١/هامش.
(٢) المصدر السابق: ١١١.
(٣) طرائف المشتاقين: ٣٢٨.

بمجموعة من اللصوص وقطاع الطرق ممن ينتهبون في العادة أمتعة وسيارات المسافرين وكانت تقل شيخنا الراحل سيارة جديدة من إنتاج عامها آنذاك، فلما رأوها سال لعابهم وأقبلوا عليه، وعند وصولهم رأوا داخلها شيخاً رابط الجأش تتلألأ من جبينه أنوار العلم والهداية، وقبل أن ينبس اللصوص ببنت شفه أمطرهم هذا الشيخ الجليل بعدد من الأسئلة، قائلاً لهم بصوت قوي ومؤثر:

«أنتـم قطاع الطريق المسبلة؟!

أنتـم الذين أخفتم عباد الله؟!

أنتـم الذين اعتمدتم واسترزقتم الحرام؟!

ماذا تصنعون هنا؟؟!!

تجمعتم على أذية الناس؟!

انتظروا إذاً عقاب الله ..

انتظروا عذاب الله ..

انتظروا نكال الله .. »

وهنا ارتعدت فرائصهم، ثم وعظهم وذكرهم، حتى أنابوا وأظهروا التوبة، ثم طلب منهم العهد بأن لا يخيفوا طريقاً أو يؤذوا إنساناً فعاهدوه، وأعطاهم من أكل كان معه، ثم أشار إلى سيارته وقال لهم: «هذه سيارتي انتبهوا لها، سوف أطلع الجبل للزيارة،

وسأعود غداً إن شاء الله» فحرسوها حتى عاد إليهم وهم منتظرون له، فدعا لهم بالتوفيق والهداية والرزق الحلال، ثم انصرف موفقاً..

إنه الحضور الرباني، والاتصال العميق بالهداية الإلهية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

محاولة في قراءة الأسرار التي شكلت شخصيته على هذا النحو من الحضور والفاعلية

ليس فقط سعة العلم أو غزارة المعرفة، وليست قوة الذكاء أو كرامة المحتد هي من قد تصنع منا أشخاصاً جذّابين أو مؤثرين، وخصوصاً في مجتمعات مسلمة كمجتمعاتنا.

نعم.. قد تكون هذه الخصائص عوامل جذب، ولكنها ليست كل مكونات الكاريزما أو الجاذبية، ففي مجتمعاتنا القرآن وحده هو الكاريزما والأكثر جاذبية، وبقدر ما يتمثل الشخص منا خلق القرآن يصبح ذا شخصية مؤثرة وجذابة.

ولعل الإخلاص والإتصال بالله والتفاني في تطبيق مراده والكينونة وفق ما يريد سبحانه هي من أعظم القيم الروحية والعملية، التي جاء القرآن ليبنيها ويرسخها في شخصية الإنسان المؤمن.

يدل على ذلك الكثير من الآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[الأعراف:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

وهذه القيم التي يمكن أن نتحدث عنها تحت مسمى (العرفانية) هي لا شك مما كان يقف وراء كل ذلك الحضور والتأثير أو التوفيق في شخصية شيخنا الراحل، ذلك أن ملامح العرفانية آسرة بطبيعتها ومؤثرة؛ لكونها في النهاية تقدم عمل العاملين العارفين بالله كثمرة لعبوديتهم الخالصة، وكصورة ظاهرة تعكس صفاء باطنهم، ولعل في ذلك ما يدفعنا للتعرف على بعض هذه الملامح العرفانية في شخصية هذا الراحل العظيم.

من ملامح العرفانية
في شخصية شيخنا الراحل

لأن المقام لا يتسع للاسترسال في استقصاء هذه الملامح أو الإحاطة بكل شواهدها، فإننا سوف نكتفي بقراءة بعضها من خلال الوقوف على كلمات ذلك القسم الشهير لراحلنا العظيم وشيخنا الجليل، عندما أقسم ـ رحمه الله تعالى ـ قائلاً: «قسماً بالله العلي الكبير، قسماً يعلم صدقه العليم الخبير، أن لا غرض لنا ولا هوى غير النزول عند حكم الله، والوقوف على مقتضى أمره، وأنا لو علمنا الحق في جانب أقصى الخلق من عربي أو عجمي أو قرشي أو حبشي لقبلناه منه، وتقبلناه عنه، ولما أنفنا من اتباعه، ولكنا من أعوانه عليه وأتباعه، فليقل الناظر ما شاء، ولا يراقب إلا ربه، ولا يخشى إلا ذنبه، فالحَكَمُ الله والموعد القيامة، وإلى الله ترجع الأمور»[1].

وكما تلاحظ فإن في هذا القسم ما يجعلك بالفعل تشعر بعمق اتصاله وعظيم عشقه وذوبانه في

---

(١) التحف: ٤٢٦- ٤٢٧.

الحق سبحانه، وفي مؤشرات ذلك ما يجعلنا نقف أمام شخصية جسّدت بصدق قول الخالق ـ عزّ وجل ـ : ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] وأخذت بحظ وافر من كل الخصال الكريمة والأخلاق الفاضلة التي دعا إليها الله ورسوله، ومنها:

الإخلاص

حيث تجد أن الإخلاص في الهدف وفي العمل هو أحد الملامح العرفانية التي تظهرها كلمات القسم بوضوح في شخصية راحلنا الكبير، فحين يكون هدفه هو الله، والنزول عند حكمه، والعمل بمقتضى أمره، تصبح كل حركاته وسكناته عبارة عن وسائل تعبدية لتحقيق هذا الهدف، بمعنى أنها تبرز كثمرة من ثمار العبودية الخالصة لله تعالى، المتجرّدة عن كل غرض أو هوى، وفي هذا بالفعل ما يغنينا عن سرد ما هو عليه من التقوى والعبادة، والورع والزهادة، والتجرد والصلابة في الحق.

فهو بحق كما قد قيل عنه: «بقية أهل الاستقامة، وزينة المتقين، وكعبة المسترشدين».

التواضع والقدوة

التواضع صفة العظماء الكبار، ذلك أن المتكبرين لا يبدون أبداً كباراً ولا عظماء في أعين

الناس، قال رسول الله ﷺ: «من تواضع لله رفعه، ومن تكبر على الله وضعه».

إن صفة التواضع تعتبر من أعظم الصفات التي أكسبت شيخنا الراحل كل هذا السمو، ولعلّ من الشواهد على تواضعه الجم، والتي لست أنساها ولن أنساها ما حييت، تلك الزيارة الكريمة التي شرّف بها كاتب هذه السطور في العام لعله ١٤١٧هـ وذلك في منزل حي شيخنا السيد العلامة يحيى بن عبد الله راويه الذي أسكن فيه، ويبدو من المستحسن أن أذكر بعض ما جرى في تلك الزيارة كشاهد صدق ليس على تواضعه فحسب، وإنما على أنه كان قدوة في كل أقواله وأفعاله، فقد حدّثته ـ رحمه الله ـ عن جملة من الإجراءات التي قمت بها بشأن مكتبة شيخنا السيد العلامة يحيى راويه ـ رحمه الله ـ من قبيل العمل على صيانتها وفهرستها..الخ.

فسرّ لذلك العمل، وقال: «لتكن تحت إشرافك ومسؤوليتك» والشاهد هنا أنه ـ رحمه الله تعالى ـ وجهني بالامتناع عن إعارة أي كتاب منها لأي شخص كان إلا في مقابل رهن يضمن عودة الكتاب، وفي تلك اللحظة كان يحمل في يده أحد كتب هذه المكتبة، ثم أخذنا الحديث بعيداً إلى قضايا ومواضيع أخرى، وحين قرر الانصراف والعودة نهض ومعه ذلك الكتاب، فنبّهته فابتسم ـ رضوان الله عليه

ـ قائلاً: «تريد رهن أليس كذلك؟» فطلبت منه أن يأخذه إذا كان في حاجته، فأجاب ـ رحمه الله ـ أنه بالفعل يحتاجه، ولكنه سوف يضطر لتسليم الرهن أولاً وأذكر أنه ـ رضوان الله عليه ـ جاء في اليوم الثاني وسلّم لي الرهن، وفي هذا ما يظهر صفة التواضع والقدوة معاً، وهي صفات كان يلمسها فيه كل من رآه، أو جلس مجلسه، أو تعامل معه، أو تحدث إليه، حتى لقد كنا ونحن تلاميذ في حلقة درسه المبارك نستمد من تواضعه وانبساطه جرأة الحديث والمناقشة معه في حب وإجلال.

وهذه صفة أكّدها ويؤكدها كبار تلاميذه القدماء، قال العلامة الفيشي: «ومهما أنسى لا أنسى أسلوبه الحسن، وطرائقه الفذة في التدريس.. ـ إلى أن قال: والتنازل إلى حد أن تنهال عليه المناقشة والاعتراضات فيرسل عليها أشعة أنواره وصحاح علومه وآرائه، فيمسح غياهبها ويقطع شجونها»[1].

هذا ولعل في كلمات قسمه الصادق ما يؤكد هاتين الصفتين إلى الحد الذي يغنينا عن أي شاهد آخر، فهو يعلن استعداده لأن يكون تابعاً لأي شخص كان بصرف النظر عن عرقه أو جنسه أو لونه، المهم أن يكون محقاً وهذا شرطه الوحيد.

---

(١) التحف: ٤٧٠.

وهكذا يمكنك أخي القارئ ومن خلال التأمل في كلمات هذا القسم وحدها أن تستشف كل ما يمكن أن يخطر على البال من الخصال الشريفة لهذا الشخصية المباركة، وأن يكون هذا الإنسان المتواضع هو ـ أيضاً ـ القدوة في كل معالي الأمور، فإن في ذلك وحسب ما يكفي لجعل كل خصاله الخيرة تتوارد تباعاً وتلقائياً إلى ذهنية ومخيلة كل متأمل، مما يصبح التوقف عن الاستطراد هو الأمثل أسلوباً والأكثر منفعة وخصوبة.

لمحة عن أولاده

هذا وقد خلّف ـ رضوان الله عليه ـ عدداً من الأولاد النجباء، وهم السادة الأعلام: الحسن، والحسين، وعلي، وإبراهيم، وإسماعيل، وجميعهم لازموا والدهم وأخذوا عنه الكثير الطيب.

وولده السيد العلامة حسين بن مجد الدين ـ حفظه الله تعالى ـ يعد اليوم من أبرز المتصدرين لتدريس العلم الشريف في مدينة ضحيان، وهو بحق عالم ضليع، وخصوصاً في اللغة والأصول.

فيما البقية من أولاده الكرام يمارسون نشاطاً علمياً وثقافياً رائعاً من خلال (مركز أهل البيت عليهم السلام للدراسات الإسلامية) الذي أنشئ بدعم وتعاون مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية تحت

إشـراف ومباركـة شـيخنا الراحـل، وهـذا المركـز يمـارس نـشاطه المـستقل تحـت إدارة الأخ العلامـة/ إبراهيم بن مجد الدين ـ حفظه اللّه تعالى ـ وقد صدر عنـه العديـد مـن كتـب الـتراث أشـارت إلى بعـضها كلمـة المركـز المثبتـة في تـصدير كتـاب (لوامـع الأنوار)[1].

هـذا ولأننـا نهيـئ أنفـسنا للقيـام بإعـداد سـيرة متكاملـة لراحلنـا العظيم، فإننـا نكتفـي هنـا بهـذا القدر الذي اقتضته المناسبة، على أمـل أن تغطـي تلـك الـسيرة كـل مـا فاتنـا في هـذه العجالـة، فلقـد فاتنـا الشيء الكثير.

---

(١) اللوامع: ٦.

وختاماً

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمد فقيد الأمة شيخنا الراحل بواسع رحمته، وأن يحشرنا معه في زمرة سيدنا ونبينا محمد صلوات الله عليه وعلى آله وسلم..

كما أسأله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يمدنا بأسباب القوة والنشاط للنهوض بما قد عقدنا العزم على القيام به من إعداد سيرة متكاملة تليق بهذا العالم الرباني الجليل، عسى أن يعم نفعها إن شاء الله..

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

عبد الله بن حمود بن درهم العزي

اليمن- صعدة ١٢/١٠/١٤٢٨هـ - ٢٣/١٠/٢٠٠٧م



قسـماً بالله العلي الكبير..
قسماً يعلم صدقه العليم الخبير..
أنْ لا غرض ولا هوى لنا..
غير النزول عند حكم الله..
والوقوف على مقتضى أمره..
وأنا لو علمنا الحق في جانـب أقصى الخلق
من عربي أو عجمي أو قرشي أو حبشي
لقبلناه منه، وتقبلناه عنه..
ولما أنفنا من اتباعه..
ولكنا من أعوانه عليه وأتباعه..
فليقل الناظر ما شاء، ولِا يراقـب إلا ربه..
ولا يخشى إلا ذنبه، فالحكَم الله والموعد القيامة..
وإلى الله ترجع الأمور.

مجد الدين بن محمد المؤيدي